

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة السابعة عشرة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عن نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلميه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. ثم تحدث عن سيرة إبراهيم الخليل وابنيه إسماعيل واسحق، اللذين ولدا من جاريته هاجر وزوجته الحرة سارة.

فكشف أن الجارية هاجر ترمز إلى عهد الناموس، وتشير إلى العبودية، وإلى اليهود. بينما زوجة إبراهيم سارة ترمز إلى عهد النعمة، عهد الحرية الحقّة، الذي يشير إلى كل المؤمنين بالمخلص المسيح من كل الشعوب. وأوضح الرسول بولس أنه كما طرد إبراهيم الجارية وابنها إسماعيل الذي اضطهد اسحق، هكذا اليهود أصحاب عهد الناموس لا يستطيعون أن يرثوا بركات الله. هذه البركات التي يحصل عليها كل من يؤمن بالمسيح. وكما لاحظنا فقد أراد الرسول بولس في كشفه لكل هذه الحقائق الروحية الهامة، أن يبين الفرق الكبير بين عهد الناموس وعهد النعمة. وليؤكد أن المؤمن بالمسيح ليس بحاجة أبداً لكي يعمل بفرائض الناموس ووصاياها.

وعليّنا أن نلاحظ أيضاً أن كل مواعيد الله لبني إسرائيل قديماً بالبركة، من خلال عهد الناموس، ومن ضمنها الوعد بالأرض، قد انتهت بمجيء المخلص المسيح، وبدئه لعهد النعمة بموته الكفاري على الصليب. لقد حلّ عهد النعمة كما لاحظنا مكان عهد الناموس، وانتقلت بالتالي كل المواعيد بالبركة من بني إسرائيل إلى المؤمنين بالمخلص المسيح. فالمؤمنون بالمسيح هم الذين ينالون بركات الله وعلى رأسها نعمة الخلاص.

ولهذا أكد الرسول بولس أن أصحاب الناموس أي اليهود لم تعد تحقق لهم الوراثة، لأن الوراثة أصبحت من حق المؤمنين بالمسيح. أما موعد الأرض فقد كان يرمز إلى ملكوت الله، وعهد النعمة الذي بدأه المخلص المسيح. لهذا إن إدعاء اليهود اليوم أن وعد الله

لهم بأرض فلسطين مازال مفعوله ساريا، هو إدعاء غير صحيح. لقد انتهى عهد الناموس، وحلّ مكانه عهد النعمة ببركاته الروحية والأبدية، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح.

نأتي الآن إلى الأصحاح أو الفصل الخامس من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية. إذ تابع الرسول بولس حديثه قائلاً: "فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتكبوا أيضاً بنير عبودية." (غلاطية ٥: ١) حتّى الرسول بولس المؤمنين هنا، لكي يثبتوا في هذه الحرية الحقّة التي منحهم إياها المخلص المسيح. لقد حررهم المسيح من عبودية الخطية، بموته الكفاري من أجلهم، وحررهم أيضاً من عبودية الناموس أو الشريعة. فهم الآن أحرار ومن أولاد الله، ولم يعودوا مستعبدين كالسابق، ولهذا عليهم أن يثبتوا في هذه الحرية الحقّة، ولا يحاولوا الرجوع عنها بتقييد أنفسهم من جديد بنير العبودية، أي في قوانين الشريعة ووصاياها الثقيلة. أجل لقد حرر الله المؤمنين بالمخلص المسيح، من عبودية الخطية والناموس، وجعلهم أحراراً، لكنه أعطاهم في نفس الوقت القدرة بالروح القدس، لكي يسلكوا بحسب مشيئته، وليفعلوا كل ما هو صالح ومفيد.

ثم فاجأ الرسول بولس قارئيه بقوله لهم: "ها أنا بولس أقول لكم أنه إن اختنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً. لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس." (غلاطية ٥: ٢ و٣) إن المؤمن بالمسيح عندما يختن أو يتطهر، كأنه يقول للمسيح مخلصه إن خلاصك غير كاف، وأن كفارتك على الصليب لا تكفي، ولهذا أنا أحاول أن أكمل خلاص نفسي عن طريق الاختن أو التطهير. فالمؤمن بالمسيح إما أن يعتمد على نعمة الله في خلاصه، أو على حفظه للناموس، إذ لا يستطيع أن يعتمد على الأمرين معاً، إذ هما مختلفان تماماً. فلا منفعة مما عمله المسيح إذا كنا نحاول أن نخلص نفوسنا بجهودنا.

أما الأمر الآخر الذي ذكّر به الرسول بولس المؤمنين، أنه إذا أراد المؤمن بالمسيح أن يختن أو يتطهر، فعليه بحسب الناموس، أن يعمل بكل ما جاء في الشريعة وليس بجزء منها. وإلا كان حفظه للناموس لا معنى له. أي إما أن يتقيد المؤمن بكل ما جاء في الشريعة، أو يرفضه، فهو لا يستطيع أن يأخذ قسماً منه. وكما ذكرنا فإن على المؤمن أن يختار بين نعمة الله وبين الشريعة، ولا يستطيع أن يسير بالأمرين معاً.

صديقي المستمع، هل تدري أنه حتى يومنا هذا مازال الكثيرون يظنون أن عليهم لكي يخلصوا، أن يؤمنوا بالله، ويقوموا في نفس الوقت بممارسة الفرائض الدينية، وتأدية الأعمال الصالحة؟ وبتعبير آخر يظنون أن عليهم أن يقوموا بالمساهمة في خلاص أنفسهم، وكأن نعمة الله غير كافية لخلاصهم وتبريرهم أمام الله. متجاهلين الحقيقة الهامة أنهم كخطاة، لا يستطيعون ومهما قاموا به من جهد التقرب إلى الله.

فإذا طرحنا السؤال كيف نجد قبولاً لدى الله؟ لكان جواب الكثيرين عن طريق ممارسة الفرائض الدينية من صلاة وصوم، وحضور اجتماعات العبادة، وزيارة الأماكن المقدسة، والقيام بأعمال الخير والإحسان. وهم يظنون أن عند الله يوم الحساب ميزاناً، يزن في كفة ممارساتهم الدينية وأعمالهم الصالحة، وفي الكفة الأخرى يزن أعمالهم الشريرة. فإذا رجحت أعمالهم الصالحة على أعمالهم الشريرة لنالوا رضی الله.

فهل هذا الأمر صحيح يا ترى؟ بالطبع كلا. إن كلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس واضحة في هذا المجال. فالله يؤكد في كلمته أن جميعنا كبشر خطاة، ونستحق دينونة الله وعقابه. ولا يستطيع أحد أن يغير من هذه الحقيقة، حقيقة كونه إنساناً خاطئاً، ومهما مارس من فرائض دينية، وقام بأعمال صالحة. فهذه الممارسة وهذه الأعمال لا تستطيع أن تزيل خطية واحدة، أو حتى هفوة واحدة ارتكبتها. إن الله وحده هو القادر أن يغفر خطايانا، لكن لا بد أولاً لمن يدفع ثمن الخطية وعقابها. ولهذا أرسل الله كلمته الأزلي، المخلص المسيح إلى عالمنا، لكي يموت على الصليب، آخذاً عوضاً عنا ثمن خطايانا وعقابها. ولهذا عندما يؤمن الإنسان الخاطئ بالمخلص المسيح، وبموته الكفاري من أجله على الصليب، يغفر الله خطاياه كلها، ويخلقه خليقة روحية جديدة، ويجعله من أولاد الله، ويضمن دخوله إلى الحياة الأبدية.

نعم صديقي المستمع، فقط بمجرد إيماننا بالمخلص المسيح، نحصل نحن البشر الخطاة مجاناً، على قبول الله وغفرانه ورضاه، وبدون أي عمل أو جهد نقوم به. أليس هذا أمراً عظيماً؟ وهذا ما نسميه نعمة الله، أي هبة الله المقدمة لنا مجاناً وبدون أي مقابل. فهل تود مستمعي الكريم أن تتال هبة الله هذه عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب؟ أرجو أن تفعل ذلك وقبل فوات الأوان.